مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 04 السنة 2020 ص 397 - 412

تاريخ الإرسال: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/09/01
تاريخ النشر: 2020/09/20

النحو عند القدماء والمحدثين بين الافتخار والإنكار

Grammar among the ancients and the modernists between pride and denial

لويزة مورد[1]، بلقاسم غزيل[2]
جامعة غرداية (الجزائر)، [1]moured047@gmail.com
جامعة غرداية (الجزائر)، [2]ghezailb@gmail.com

الملخص:

ارتبط النحو منذ نشأته بالقرآن الكريم ،كما ارتبط بالإعراب، وقد أثار جدلا عند القدماء والمحدثين، بين مقدّس له لارتباطه بالقرآن وبين منكر له وساع إلى محاربته، فالخلاف قديم قدم النحو، في القديم نظر النحاة إلى النحو نظرة اعتزاز وإجلال –ما عدى بعض الروايات عن الأعراب التي تبرز الصراع بينهم وبين النحويين–، وكذا الجاحظ ومواقفه الساخرة من النحاة، ولكن الخلاف بلغ ذروته عند المحدثين الذين تجرؤوا إلى حدّ الدعوة لمحاربته والسعي إلى إحلال اللهجات بديلا عنه، بدعوى صعوبته وجموده حاملين لواء تسيير النحو تارة، والتجديد تارة أخرى من أمثال: طه حسين و وشوقي ضيف، وجهود المجامع اللغوية ..

الكلمات المفتاحية: النحو، تسيير النحو، تجديد النحو، اللهجات

Abstract:

Grammar has been associated since its inception with the Holy Qur'an, as it has been associated with syntax. It has caused controversy among the ancients and the modernists, between his sacred connection to his association with the Qur'an and his

denial, and he sought to fight it. The dispute is as old as grammar. In the ancient, the grammarians looked at grammar as a look of pride and honor - except for some accounts of the Arabs that highlight the conflict between them and grammarians as well as Al-Jahidh and his sarcastic attitudes towards grammarians But the dispute reached its climax with the modernists, who dared to the point of calling for fighting it and seeking to replace dialects as an alternative to it, claiming that it was difficult and stagnant, carrying the banner of facilitate grammar at times, and renewing at other times, such as: Taha Hussein, Shawki Dhaif, and the efforts of linguistic councils ..

Keywords: Grammar,Facilitate grammar ,grammar renewal, dialects.

المؤلف المرسل: لويزة مورد، الإيميل: MOURED047@GMAIL.COM

1.مقدمة

تميزت اللغة العربية بخصائص عدة مكّنتها بأن تكون الأجدر بحمل كتاب الله تعالى. وعلوم اللغة العربية اثنا عشر علما مجتمعة في قوله:

نحو وصرف، عروض، ثم قافية وبعدها لغة، قرض، و إنشاء

خط، بيان، معان، مع محاضرة والاشتقاق لها الآداب أسماء

وتجتمع هذه العلوم في الهدف،ألا وهو ضبط اللفظ العربي، وتفسيره وصياغته سواء كان مفردا أو مركبا؛ والحقيقة أن (النحو) هو الأحق بتصدّر هذه العلوم من حيث الأهمية، فهو السبيل لمعرفة صواب الكلام من خطئه، ويعتمد عليه في فهم سائر العلوم:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلّها فأجلّها نفعا مقيم الألسن

وإذا كان النحو بهذه المكانة، فإن الآراء اختلفت حوله قديما وحديثا مثيرة معها مجموعة من الإشكاليات من مثل: من هو المؤسس لهذا العلم ؟ وهل النحو مفيد للإنتاج الأدبي أم معرقل له ؟

2. تعريف علم النحو عند القدماء و المحدثين

للنحو لغة معان كثيرة : أهمها القصد والجهة، كنحوت نحو المسجد ،كما يعني المقدار : كعندي نحو ألف دينار، والمثل والشبه : كسعد نحو سعيد أي مثله أو شبهه،أما اصطلاحا : "فهو قواعد يعرف بها أحوال أو أواخر الكلمات العربية، التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما"[1].

1.2 تعريف النحو عند القدامى

أ- يعرفه ابن جني: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها من الفصاحة، فينطلق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها"[2].

ب- وقال الجرجاني : يعرف الجرجاني (النحو) بقوله: "أما النحو، فظننته، ضربا من التكلف وبابا من التعسف، وشيئا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك، مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجد نفعا، ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل بالملح كما عرفت"[3].

وفي تشبيه عبد القاهر الجرجاني للنحو بالملح ليس إنقاصا من قيمته ودوره وإنما كان يهدف من خلال تشبيهه الكفاية والحذر في الأخذ منه، وقد وضح ذلك في قوله : "وأعلم أني لست أقول إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلام المفردة أصلا، ولكني أقول إنه لا يتعلق فيها مجردة من معاني النحو"[4].

2.2 العلاقة بين تعريفات القدامى والدراسات اللغوية الحديثة

إننا لا نجانب الصواب، إذا قلنا بأن التراث اللساني العربي، عند قدماء النحويين كان ذا بعد وظيفي، ويتقاطع مع ما تسعى إليه الدراسات اللغوية الحديثة من خلال مصطلحات حديثة، فمثلا نجد في التعريف السابق لابن جني للنحو إضاءات وإشارات لما تسميه الآن الدراسات اللغوية : "الفصائل اللغوية" وهذا واضح، ففصيلة العدد (المفرد–المثنى–الجمع)، وفصيلة الجنس (المذكر والمؤنث)، وفصيلة التعريف والتنكير (النكرة وأنواع المعرفة) وفصيلة الزمن (ماضي الفعل – مضارعه – اسم زمان – الظرف)، وفصيلة الاشتقاق (اسم الفاعل – اسم المفعول – الصفة المشبهة – اسم الآلة – اسم الهيئة – صيغة المبالغة... الخ)، وفصيلة التوابع (الصفة – العطف – البدل – التوكيد)، وفصيلة المعاني الوظيفية (الفاعلية – المفعولية – الاستثناء – التمييز) [5].

فالإعراب لدى النحاة القدامى اتخذ بعدا وظيفيا وليس شكليا كما يشاع لدى الكثير ،فالنحاة كانوا يعتمدون على الإعراب من أجل كشف المعنى وإيضاح الصورة، والإعراب كان لديهم وسيلة وليس غاية، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي الذي يراعي تكاملية الأبواب، بالانتقال من الجزء إلى الكل وذلك انطلاقا من المبدأ الإجرائي ألا وهو الإعراب، للوصول إلى العلاقات الوظيفية بين أجزاء الكلام من خلال مبدأ الإسناد.

3.علم النحو (ظهوره وتطوره وأهم علمائه)

لقد كانت العرب تنطق على سجيتها الفصحى، ولا تحتاج إلى علم كي يقوّم لسانها، فقد ورثت هذا الميراث اللغوي أبا عن جد، ميراث دم ونسب لا تجربة ومران، وقد كانت تتباهى بفصاحتها أمام سائر الأمم، كما قال أحد الشعراء[6] :

ولست بنحوي يلوك لسانـــــــــــــه ولكن سليقي أقول فأعـــــــــــرب

وظلت العرب على هاته الحالة، حتى انتشر الإسلام في أصقاع العالم، فدخله الأعاجم من فرس وروم واختلط بهم العرب تجارة ومصاهرة ومعاملة، فأصيب اللسان العربي بالعجمة، فبدؤوا يرفعون المنصوب، ويجرون المرفوع، وما إلى ذلك من أنواع الانحراف اللغوي، فقد كان هذا هو السبب الرئيسي في وضع نظام تعليمي، ذا قواعد ثابتة تضبط من خلاله الحركات، وتسهل على الناس قراءة القرآن الكريم، وتحفظه من اللحن وتصون بذلك قدسيته وإعجازه.

أما عن أول من وضع النحو، فقد وردت قصص عديدة، ولكن تجمع أغلب الروايات بأن لأبي الأسود الدؤلي الفضل في وضع أسس هذا العلم بإشارة من الإمام علي رضي الله عنه، وهذا ما أكده كل من الزجاجي وأبو الطيب اللغوي، وأبو سعيد السيرافي والزبيدي وابن نديم، وذكر السيوطي "اشتهر أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لأبي الأسود الدؤلي"[7].

1.3 مراحل تطور علم النحو

وبعد أن وضع أبو الأسود الدؤلي حجر الأساس لهذا العلم، جاء بعده نحويون قاموا بتطويره إلى أن بلغ صورته الحالية من الكمال والنضوج ويمكنا تقسيم مراحل تطور هذا العلم إلى أربعة مراحل هي:

أ–المرحلة الأولى: وهي مرحلة التأسيس من عصر أبو الأسود الدؤلي (69هـ) إلى عصر أحمد بن خليل الفراهيدي (175هـ). وقد كان الدرس النحوي بصري، ولم يعرف للكوفة أي نشاط، فقد كانت منشغلة برواية الأشعار والأخبار، ومن بين العلماء الأجلاء في هذه الفترة أبو عمر وبن العلاء (124هـ) الذي كان له تصانيف كثيرة في هذا العلم.

ب–المرحلة الثانية: وهي مرحلة النشأة والتطور، وتمتد هذه المرحلة من عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي جعفر الرؤاسي إلى عصر المازني البصري وابن

السكيت الكوفي (249هـ)، وفي هذه الفترة نشطت الدراسة النحوية واكتست صبغة بصرية كوفية.

ج- المرحلة الثالثة : وفي هاته المرحلة بلغ هذا العلم مرحلة الكمال والنضوج وامتد من عهد أبي عثمان المازني (249هـ) وابن السكيت إلى عهد المبرد البصري (285هـ) وثعلب الكوفي (291هـ).

د- المرحلة الرابعة: أصبح النحو بصريا وكوفيا، مع استنباط القواعد، وكثرة الخلافات النحوية، وتراوحت المسائل الكوفية والبصرية، وإن كانت الغلبة في بداية هذا العهد للكوفة، ولكن سرعان ما عاد النحو إلى أصله بصريا كما كان أول مرة.

قد كان أبو الأسود الدؤلي السبّاق في استنطاق اللغة، باستقرائها من أفواه الإعراب وبذلك اعتبر أول من أسس للنحو العلمي[8]، وذلك من خلال التفكير في القواعد والأصول من أجل صيانة الألسنة من اللحن، فقد ترك المجال المطلق للسليقة وتبعه في ذلك تلامذته، وبعدهم العلماء في الاعتماد على السماع والرواية والقياس والمروي والمسموع، حتى توصلوا إلى علم له قواعد محددة من شأنها مراعاة الخطأ واللحن.

ومما سبق تبين لنا الدور المهم للسليقة في تأسيس النحو العلمي، وبداية التحول اتجاهه، فهي مسألة مهمة في تسجيل الملاحظات وتحويلها إلى مبادئ علم قائم بنفسه، وقد اعتمدها العلماء بريادة أبو الأسود الدؤلي، كما سبق وأن ذكرنا؛ ويقول في ذلك ابن جني عن أبي حاتم السجستاني قال: "قرأ علي أعرابي بالحرم طبي لهم وحسن مآب، فقلت: طوبى، فقال : طيبي، فأعدت فقلت : طوبى، فقال : طيبي، فلما طال علي، قلت: طو طو، قال: طي طي، أفلا ترى إلى هذا الأعرابي... لم يؤثر فيه التلقين... وما ظنك به إذا... تساند إلى سليقته في اعتماده على الطبع والسجية في التلفظ"[9].

2.3.آراء المحدثين حول واضع النحو

إذا كان القدماء اتفقوا على أثر أبي الأسود الدؤلي الواضح في نشأة هذا العلم، فإن المحدثين قد تفرقوا، وانقسموا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول وافق رأي القدماء والقسم الثاني موافقه كانت باشتراط، أما الثالث فاعترض على هذا الرأي.

أ- رأي الموافقين: ويمثل هذا القسم كل من : جرجي زيدان (1861م-1914م) ومصطفى صادق الرافعي (1881-1937م) والزيّات، يقول جرجي زيدان : "أما واضع العربية فهو بالإجماع الدؤلي... واختلفت الروايات في ما بعث أبا الأسود على وضع النحو، لكنهم مجمعون، على أنه واضعه، كما قدمنا، وهو يقول إنه تلقى ذلك عن علي بن أبي طالب"[10].

ليأتي الزيّات ليوثق رأي سابقه قائلا : "أجمع المؤرخون، أن أبا الأسود الدؤلي واضع النحو، وأن السبب الذي حذاه إلى وضعه هو نشوء اللحن، وهجوم العجمة، ثم ذكر قصة أبي الأسود، وزياد"[11].

ب- رأي المشترطين : وهو رأي مازن المبارك وحسن عون، يقول مازن المبارك : "إنه من غير المستبعد أن يكون شيء كهذا (المحادثات بين علي والدؤلي في النحو) قد حصل، ولكن أن يكون علي هو الواضع الأول للنحو، فهذا أمر عجيب مع انهماكه في أمور الخلافة والخلاف"[12].

ج- رأي الرافضين: كان رأي هؤلاء بأن أبا الأسود الدؤلي ليس هو واضع النحو، وأن الروايات التي وصلتنا ليس لها أساس من الصحة، ويصرح بذلك ابراهيم مصطفى قائلا : "فالذي نراه أن أبا الأسود لم يضع قاعدة من قواعد النحو، ولا أصل أصلا من قواعده، وإنما وضع النقط، الذي يضبط به أواخر الكلمات، بحسب ما تقتضيه السليقة العربية"[13]. أما شوقي ضيف فيقول بأن هذه الروايات من صنع الشيعة، لاضطرابها، فهو ينفي بأن يكون النحو من صنيع علي وأبي الأسود، وأن

العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي يقتصر على نقط القرآن، وقد وردت أقاويل كذلك بأنه من وضع العربية وهذه الروايات مضطربة، وليست على وجه واحد، ويسانده في رأيه أحمد أمين، بأن الرواة كل ما ذكروه عن أصل وضع النحو لا يشفي غليلا ويزيد قائلا : "كل هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأبى هذه التعريفات، وهذه التقاسيم الفلسفية"[14].

4. رؤية القدماء والمحدثين للنحو

إذا كنا قد سبقنا وأن ذكرنا بأن القدماء اختلفوا فيما بينهم حول واضع النحو، وسار على نهجهم المحدثين في هذا الاختلاف، فإن نظرتهم إلى النحو كمادة وجدواها قديما وحديثا، لم تسلم من هذا الخلاف وسنبتدأ حديثنا عن القدامى.

1.4 نظرة القدامى للنحو

لقد جمعت العربية في البداية من البوادي من عند أفواه الأعراب الخلّص الذين يتميزون بالسليقة اللغوية، ليأتي عمل النحاة فيما بعد تقعيد هذا العلم ليصبح نحوا تعليميا، يجوز لغير العرب تعلمه، نتيجة لها ظهرت بعض المصطلحات لدى النحاة من أمثال : الخفض والنصب والرفع، ووصفوا من خالف القواعد باللحن حتى ولو كان أعرابيا. هذا الذي أثار موجة الغضب لدى الخاصة منهم، وكثيرة هي الروايات التي تبين لنا منازعات الأعراب والنحاة، حتى أن هناك من أنشد شعرا في هذا، قال أعرابي:

ماذا لقيت من المستعربين ومـــــن تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعـــــوا
إن قلت قافية فيه يكون لهـــــــا معنى يخالف ما قاسوا وما وضعــوا
قالوا لحنت وهذا الحرف منخفـــض وذلك نصب وهذا ليس يرتفـــع
وحرّشوا بين عبد الله واجتهـــــــدوا وبين زيد وطال الضرب والوجع
إني نشأت بأرض لا تشب بهـــــا نار المجوس ولا تبنى بها البيـع

ولا يطأ القرد والخنزير ساحتهـــــا لكن بها الهبق والسيدان والصدع
ما كل قولي معروف لكم فخـــــذوا ما تعرفون ومالم تعرفوا فدعـــوا
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهـــم وآخرين على أعرابهم طبعـــــوا
وبين قوم رأوا شيء معاينـــــــة وبين قوم رووا بعد الذي سمعـــوا

ولم يقتصر التهجم على النحاة من الأعراب فقط، إذ نجد الجاحظ في كتابه (الحيوان) يعتبر النحاة تجارا يغردون في كتبهم، ومن أمثلة النحاة الذين ترصدهم الجاحظ، أبو الحسن الأخفش قائلا : "قلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم العويص، وتؤخر بعض المفهوم، قال : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله وليس هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجتهم إلى ما فيها... وإنما كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت"[15].

ولقد كان موقف الجاحظ من النحويين هذا نابعا من منهجه في اللغة، فهو يستهدف توليد المعاني، التي كانت طيّعة لديه فهو يحسن التعامل بها، وهذا كله يتطلب مرونة، تصطدم مع محاولات التي كان هدفها تقعيد اللغة (قانون)، وهذا ما أكده ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) على أن الجاحظ : "يشكو من طريقة النحاة في كتبهم، وأنهم وعلى رأسهم الأخفش يبنونها بناء شاقا، فيه عسر وفيه تصعيب، وما زال هذا العسر و التصعيب يزداد لكثرة ما وضع النحاة في كتبهم من أقيسة وعلل وما تصوروا من محذوفات ومضمرات"[16]. ويؤكد ما قاله ابن مضاء الدكتور مصطفى مندور بقوله : "الجاحظ قلق من الإسراف في طلب النحو، لأن ذلك عنده أخذ بالشكل وخضوع لمقولات تفرض على اللغة بشموليتها بنظمها وهو من أوائل القائلين بالنظم، وأحس أن الغوص وراء مقولات النحو، تجعله غاية أو تفصله على النظام الصوتي الذي تعرفه العربية، الجاحظ حدّد موقفه ذلك لأنه رجل بيان

ونقد، وهكذا فهم آنذاك، فصل أو شبه فصل بين الألفاظ والمعاني، وإذا كانت القضية قد تسربت إلى الأدباء بعد طول الوقوف مع النحاة ومقولاتهم، فلقد كان حسهم اللغوي سليما"[17].

وإذا كنا قد أوردنا نموذجين عن الذين نظروا إلى النحو نظرة ازدراء وسخرية وعداء، فإن هناك الكثيرون من القدماء الذين اتفقوا على أهمية هذا العلم، واعتبره ذا أهمية بالغة في فهم اللغة العربية ومن ثمة فهم كتاب الله عز وجل، وخير نموذج لهؤلاء نذكر : كل من عبد القاهر الجرجاني، وابن هشام الأنصاري.

أ- رأي عبد القاهر جرجاني : لقد ربط هذا العلامة بين تعلم النحو وتفسير القرآن الكريم، مؤكدا بأن الذين لا يتقنون العربية وأساليبها لا يمكنهم معرفة كنه الآيات القرآنية، ولا تخريجها تخريجا صائبا، مستشهدا بآية من سورة المائدة ألا وهي قوله تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى**] (المائدة:69) قائلا : "وحتى زعموا مثلا أنكم لا تحتاجون في أن تعرفوا وجه الرفع في (الصابئون) من سورة المائدة إلى ما قاله العلماء فيه، وإلى استشهادهم بقول الشاعر ابن حازم :

وإلا فاعلموا أنا وأنتـــــــم بغاة ما بقينا في شقـــــــاق

وحتى كان المشكل على الجميع غير مشكل عندكم، وحتى كأنكم قد أوتيتم أن تستنبطوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائله كلها : فتخرجوا إلى فن من التجاهل لا يبقى معه كلام، وأما أن تعلموا أنكم قد أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم، وظننتم ما ظننتم فيه، فترجعوا إلى الحق وتسلموا الفضل لأهله، وتدعوا الذي يزوى بكم، ويفتح باب العيب عليكم ويطيل لسان القادح فيكم"[18].

ب- موقف ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) : إن موقف ابن هشام لا يبتعد عن رأي سابقه وإنما يؤكده بقوله : "أولى ما تقترحه القرائح، وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوائح ما تيسر به فهم كتاب الله –عز وجل- المنزل، ويتضح به معنى حديث نبيه

المرسل، فإنها الوسيلة إلى السعادة الأبدية، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية، وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب"[19].

2.4 نظرة المحدثين إلى النحو

إذا كان القدماء قد أقروا بأهمية علم النحو، لربطهم إياه بكتاب الله، فإن المحدثين قد نفروا من هذا العلم، الذي وصفه الأكثرون بالعقم والجفاء، فالنحو أصبح عندهم عبارة عن قواعد فارغة وجثة هامدة. وسنذكر نماذج من هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس صاحب كتاب (أسرار العربية) الذي يصر على أن النحو قديم لا ينبغي اعتماده كأساس لمناهجنا التعليمية ولا لتعليمه، ففي كتابه تحت عنوان (قصة الإعراب) يقول : "ما أروعها قصة لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حكيت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل الثاني، على يد قوم من صنّاع الكلام نشأوا معظمهم حياتهم في البيئة العراقية: ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصنا منيعا امتنع حتى على الكتّاب والخطباء والشعراء من أصحاء العربية وشق اقتحامه إلا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة[20].

فإبراهيم أنيس يرى بأن الإعراب ليس إلا وجها من وجوه اللغة، أسر الناس حتى أصبح مظهرا من مظاهر ثقافتهم، وبعد ذلك أصبح النحاة رقباء على الأدباء والشعراء يترصدون هفواتهم الإعرابية دون الاكتراث إلى إنتاجهم الأدبي وما يحمله من جمال فني وصور رائعة.

أ-موقف طه حسين: يقول طه حسين "أؤكد لكم أن النحو هو أحب علوم اللغة العربية إلي، وأؤكد لكم أنني أحد لذة لا تعدلها لذة حين أجلس إلى الصديق إبراهيم مصطفى ونتذاكر أبواب النحو، ونحاول إعراب آية من آيات القرآن على قواعد النحويين أو إعراب بيت من أبيات الشعر على قواعد النحويين"[21].

ويحدد طه حسين نظرته إلى النحو وإلى الذين يطالبون بإلغاء الإعراب من خلال قوله : "إن هناك كتّابا كبارا يقرؤون في الشرق العربي كله، ويطالب بعضهم الآن بإلغاء الإعراب وإلغاء قواعد النحو... أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية وتصبح لغة الشعوب حقا، ولكن من الناس من كتبوا في هذه الأيام القريبة يطلبون إلغاء قواعد الإعراب، وتسكين أواخر الكلام لا لشيء إلا أنهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس، لا لشيء إلا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأساتذة الذين يعلمون بالنحو القديم والكتابة الموروثة عجزوا عن أن يحببوا هذه اللغة إلى الكاتب الكبير وبغّضوا إليه العربية الفصحى، وغرسوا في نفسه هذا البغض وأصبح الآن لا يكره شيئا، كما يكره التكلم بهذه اللغة، ولا يتحرّج أن يطالب بإلغاء قواعد الإعراب وتسكين آخر الكلمات وجعل اللغة العربية الفصحى كأي لهجة من اللهجات العامة"[22].

وينبه طه حسين إلى خطر هذا التيار على الوحدة العربية، قبل أن يكون على اللغة العربية، فهي الركيزة التي تلم شمل الشعوب العربية، تعبر عن مشاعرهم ومقاصدهم وتجعلها عامة لا محلية بقوله : "إما أن يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاما لا أكثر، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك وإذن دعوا اللغة العربية تموت ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ،وانظروا بعد ذلك إذا أراد السوري أن يقرأ الكتاب المصري، كيف يضطر أن يترجمه إلى لهجته السورية، ويضطر العراقي إذا أراد أن يقرأ لسوري أن يترجمه للهجته العراقية".

ب–عباس حسن : أقرّ عباس حسن بفضل النحو تحت عنوان (فضل النحو داؤه ودواؤه)، فهو يجده السبيل لفهم كتاب الله –عز وجل– وأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائلا "إن منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة، هو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه في جليل مسائلها

وفروع تشريعاتها، فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو أو يستغني عن معونته، أو يسترشد بغير نوره وهداه وهذه العلوم النقلية، على عظم شأنها وعميق أثرها لا سبيل إلى استخلاص حقائقها أو النفاذ إلى أسرارها بغير هذا العلم الخطير، فهل يدرك كلام الله تعالى ونفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم"[23].

د- شوقي ضيف : قاد شوقي ضيف تيار تجديد النحو الذي كان مبينا على إلغاء الإعراب بالتقديري وإدخال مبحث نطق الكلمة ودقة التلفظ (علم التجويد)، وحذف بعض الحروف مثل كان وأخواتها، مقتفيا أثر البصريين في هذا. كما حذف الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل، مبقيا على باب المبتدأ والخبر وإن وأخواتها، ولا النافية للجنس والفاعل ونائبه، كما حذف بابي التنازع والاشتغال الذين قد حذفهما قبله –ابن مضاء القرطبي– فشوقي ضيف من النحو ما رآه –حسه زائدا– لا يفيد العربية وإنما يزيدها تعقيدا ونفورا معترفا بذلك : "حذفت من باب المبتدأ و الخبر أكثر الأحوال التي يتحتم فيها تقديم المبتدأ على الخبر، والأخرى التي يتحتم فيها تقديم الخبر على المبتدأ لغرض الكتاب لها في باب التقديم والتأخير[24].

ومحاولة التجديد في النحو ليست جديدة، وإنما سبقه إليها ابن مضاء القرطبي الذي حقق كتابه (الرد على النحاة) والذي اعترف فيه ابن مضاء بأنه حذف من النحو ما هو زائد : "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغنى النحوي عنه، وأبنه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا: ضرب زيد عمرا، أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمر وإنما أحدثه الضرب... وذلك بيان الفساد"[25].

وقد سعى مجمع اللغة العربية بريادة هؤلاء الأسماء إلى السعي لمناقشة العربية من مقترحات هؤلاء فقام بالاستغناء عن الإعراب التقديري، والاكتفاء بألقاب البناء كالضم والفتح والكسر والسكون وألقاب الإعراب : الرفع والنصب والجر والجزم، كما اقترح مصطلح الموضوع والمحمول بدل المسند والمسند إليه.

5. خاتمة

مما سبق نجد بأن أهمية النحو لا ينكرها أحد، سواء كان مجلّا له أو داعيا لهدمه.

- نظرة النحاة القدامى أغلبها نظرة إجلال وتقدير، لربطهم اللغة العربية وقواعدها بقداسة القرآن الكريم وأحاديث **رسول الله صلى الله عليه وسلم**.

- التيارات الجديدة التي سعت إلى هدم النحو من خلال إلغاء قواعده وإنكار الإعراب، لم تكن لهم نظرة متمحّصة، بل كانت آراءهم ارتجالية إما لنقص مستواهم اللغوي أو لتبعيتهم للغرب.

- إن اقتراح إلغاء الإعراب التقديري يلغي العلاقة بين الأصل والفرع.

- الاكتفاء بألقاب البناء والإعراب لا يكسب العربية وضوحا، وإنما يزيدها لبسا في بعض الأحيان.

اقتراح مصطلح الموضوع والمحمول أو المحدث عنه والحديث، ليس تيسيرا للنحو، وإنما هو تبديل مصطلح مكان آخر.

6. الهوامش والإحالات:

1 السيد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية ،حسب منهج متن الألفية لابن مالك ، دط، دار ابن الهيثم ، القاهرة ،2009،ص8.

2 ابن جني، الخصائص، تح محمد علي نجار،ط4،دار الشؤون الثقافية العامة، دت ،ج1،ص35.

3 المصدر نفسه، ص 16.

4 المصدر نفسه، ص 216.

5 أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ط1، السعودية، 1989، ص 20.

6 ينظر، ابن منظور محمد ابن مكرم، لسان العرب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج10، ص 161.

7 السيوطي، الاقتراح، تح أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة 1976، مطبعة السعادة، ص 203.

8 ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، ج1، ص 75-76.

9 مصطفى إبراهيم ،إحياء النحو، ط1،القاهرة ،لجنة التأليف والنشر،1937،ص10.

10 جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،2012،ج1، ص 225.

11 أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، 2000، ط6، ص 200.

12 مازن المبارك، النحو العربي، مؤسسة الرسالة، 1979، ط1، ص 29.

13 ابراهيم مصطفى، مقال محمد أسعد طلسن، مجلة مجمع العالمي العربي، مج14، ص 271-272، المقطع الثالث، ص 274، تحت عنوان (وضع النحو).

14 شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، 1968، ط4، ص 66.

15 الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، البابي الحلبي،1965،ط2، ج1،ص91.

16 ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ص 47.

17 مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة، دار الإسكندرية،1984، ص 137-138.

18 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 63.

19 ابن هشام ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا،2003، المقدمة.

20 إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجلو مصرية، القاهرة ،1975، ط5،ص13.

21 طه حسين، محاضره في دمشق، مطبوعات الإدارة الثقافية، بجامعة الدول العربية المؤتمر الأول للمجامع اللغوية.

22 المصدر نفسه.

23 عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، 1975، (المقدمة).

24 شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف،1947،ط6، ص 35-36.

25 ابن مضاء القرطبي، مصدر سابق ،ص 85.